ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

انتصار سورية... سقوط مخطّط القطيعة وعودة العلاقات إلى طبيعتها وتميّزها

حسن حردان

لم يكن أعداء سورية ولبنان ينتظرون أن يروا مشهد عودة الاتصالات الرسميّة بين الدولتين بعد نحو ستّ سنوات ونصف السنة من الحرب الإرهابية الكونيّة على سورية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، وهم بالتأكيد أصيبوا بالخيبة والمرارة والصدمة لرؤيتهم وزراء في الحكومة اللبنانيّة يذهبون إلى دمشق في زيارة رسميّة ويلتقون زملاءهم وأشقّاءهم السوريّين ويشاركون معهم فرحة سورية وشعبها في افتتاح معرض دمشق الدولي، الذي شاركت فيه عشرات الدول العربيّة والأجنبيّة، في مؤشّر بالغ الأهميّة والدلالة على انتصار سورية، وعودة بعث الحياة والروح في الاقتصاد السوريّ، وفشل مخطّط حصار وعزل سورية العروبة والمقاومة بقيادة الرئيس بشار الأسد، الذي صمد صمود الأبطال مع شعبه وجيشه الباسل وبدعم من أطراف حلف المقاومة وروسيا، وانتصر على أشرس حرب كونيّة في التاريخ تُشنّ على دولة مستقلّة ترفض الهيمنة والتبعيّة لقوى الاستعمار والرجعيّة .

لقد استهدفت الحرب الإرهابيّة الكونيّة على سورية، من بين أهمّ أهدافها، إحداث القطيعة والعداء بين سورية ولبنان، عبر تحويل لبنان إلى منصّة للتآمر على سورية، قيادةً وجيشاً وشعباً، وجعل لبنان منطلقاً لتسلّل الإرهابيّين التكفيريّين إلى سورية لشنّ حربهم الإجراميّة التدميريّة المموّلة والمدعومة من أميركا وكيان العدوّ الصهيوني والدول الغربيّة وأنظمة الخليج الفارسي وتركيا، بُغية إسقاط الدولة الوطنيّة السوريّة المقاومة، وإقامة بديل عنها دولة عميلة تابعة للغرب الاستعماريّ وصديقة للعدو الصهيوني لمساعدته على تصفية القضيّة الفلسطينية، والتمهيد للعودة إلى استئناف الحرب ضدّ المقاومة في لبنان بواسطة قوى ١٤ آذار، وربما بحرب يشنّها العدو الصهيونيّ على غرار حرب ٢٠٠٦، بهدف سحق المقاومة بعد أن يتمّ إسقاط سندها وظهيرها العربيّ الأساسيّ والوحيد سورية الأسد، وذلك بُغية حسم الصراع في لبنان لمصلحة فرض الوصاية الأميركيّة الكاملة عليه.

غير أنّ صمود الدولة الوطنيّة السوريّة المقاومة ونجاحها في التصدّي لجيوش الإرهابيّين التكفيريّين الذين جُلبوا إلى سورية بواسطة الاستخبارات الغربيّة والتركيّة والخليجيّة من ٩٣ دولة في العالم، وبلغ عددهم مع نهاية عام ٢٠١٥ نحو ٣٦٠ ألف إرهابيّ، حسب مركز فيريل الألماني، أحبط وأسقط هذا المخطّط التآمري.

على أنّ انتقال سورية الصامدة إلى الهجوم مع نهاية ٢٠١٥ بدعم من حلفائها في محور المقاومة وروسيا، وتمكّنها من تحرير المدن والبلدات السوريّة الواحدة تلو الأخرى من رجس الإرهابيّين، وضع سورية على أعتاب تحقيق النصر الناجز على الإرهاب، والذي لم يعد يفصلها عنه سوى أشهر معدودة مع إلحاق الهزيمة بـ«داعش» في دير الزور. كما أدّى ذلك إلى إسقاط مشروع «الشرق الأوسط الجديد» مرة أخرى، بعد إسقاطه عام ٢٠٠٦ بانتصار المقاومة على العدوان الصهيوني، وكذلك أدّى إلى دفن مشروع تعويم الهيمنة الأميركيّة الأحادية على المنطقة والعالم، والتأسيس إلى ولادة نظام عالميّ جديد متعدّد الأقطاب.

هذا الانتصار لسورية، الذي بانت مؤشّراته من ساحات القتال ضدّ قوى الإرهاب، جعل واشنطن ومعها الدول الغربيّة ترضخ وتسلّم بفشل حربها والتكيّف مع ذلك بدعوة ما يسمّى بـ«المعارضة السوريّة» المرتبطة بها، إلى البدء بالتعوّد على التعايش مع وجود الرئيس بشار الأسد في السلطة باعتباره الرئيس الشرعيّ الوحيد.

من هنا، كان من الطبيعي أن تؤدّي هذه التطوّرات الميدانيّة والسياسيّة إلى إسدال الستار على كلّ الأوهام والرهانات، التي عقدها البعض في لبنان والمنطقة، على إسقاط نظام الرئيس الأسد، وبنوا حساباتهم على هذا الأساس، وأن يؤدّي ذلك إلى تبدّل كبير في موازين القوى لمصلحة المقاومة والقوى الوطنيّة، والذي أدّى بدايةً إلى انتخاب الرئيس العماد ميشال عون رئيساً للجمهورية، ومن ثمّ تحرير جرود عرسال والبدء بعمليّة تحرير جرود القاع ورأس بعلبك من القوى الإرهابيّة التكفيريّة، وصولاً إلى إنهاء القطيعة مع سورية وإعادة بعث الحياة والروح في العلاقات الثنائيّة والتنسيق بين دمشق وبيروت، لينتصر بذلك منطق التاريخ والجغرافيا وخطّ الكفاح المشترك ضدّ أعداء سورية ولبنان، إنْ كان الكيان الصهيوني المحتلّ لأجزاء من لبنان والجولان، إلى جانب فلسطين، أو كان الاستعمار الغربي وأدواته الإرهابيّة التكفيرية. ويتأكّد بذلك أنّ ما بين لبنان وسورية أقوى بكثير من قوى التآمر والعدوان، وأنّ الزمن الذي كان فيه لبنان قويّاً في ضعفه قد ولّى، وحلّ مكانه زمن أصبح فيه لبنان قوياً بمقاومته المنتصرة على العدو الصهيوني والإرهاب التكفيري، بالتكامل والتنسيق مع الجيشَين اللبناني والسوري، وقويّاً أيضاً بتعاونه وتنسيقه مع سورية، التي تربطها به وحدة مسار ومصير وتاريخ مشترك وجغرافيا وصِلات قُربى.

الإرهاب في برشلونة.. مسؤولية الغرب وأوروبا

معن حمية

الهجمات الإرهابية التي استهدفت مدينة برشلونة الإسبانية، وأوقعت أكثر من ١٥ قتيلاً وعدداً مماثلاً من الجرحى، وأحدثت حالة من الهلع والخوف لدى سكان المدينة، تبدو الأخطر بين هجمات مماثلة استهدفت بلداناً ومدناً أوروبية، مثل فرنسا وبريطانيا وبلجيكا. فالتقارير الإعلامية التي تنشر، والمتابعات الأمنية التي تجريها السلطات هناك، تظهر أنّ التخطيط لهذه الهجمات وتنفيذها على مراحل، الهدف منه إيقاع أكبر عدد من الضحايا.

اعتداءات برشلونة الإرهابية قوّضت نظرية الغرب وأوروبا التي اعتقدت أنّ رعاية الإرهاب في منطقتنا، وتحديداً في سورية، قد يجنّب دولهما هذا الخطر، لكن بعد الهجمات الإرهابية التي طالت العديد من دول العالم، صار واضحاً أنّ الإرهاب هو غريزة قتل وإجرام، ضدّ الإنسان والإنسانية في كلّ مكان.

الولايات المتحدة الأميركية وفرنسا وبريطانيا، ودول أخرى عديدة بينها إسبانيا، لم تقم بخطوات جادّة في مواجهة الإرهاب، وخلال سبع سنوات من الحرب على سورية، كانت مواقف معظم هذه الدول، ومعها تركيا الأردوغانية ودول عربية معروفة، تنفي صفة الإرهاب عن مجموعات تحمل السلاح وتقطع الرؤوس وترتكب الجرائم. وهذه المواقف أعطت المجموعات الإرهابية دفعاً باتجاه المزيد من الممارسات الإرهابية، في سورية وفي العراق، وفي لبنان وفي أكثر من بلد عربي وأجنبي.

المحور الغربي الأوروبي، وبدلاً من القيام بما يلزم من أجل مكافحة الإرهاب، وضع نصب عينيه إسقاط الدولة السورية، واستخدم المجموعات الإرهابية «داعش» و «النصرة» وغيرهما لتحقيق هدفه، راعياً بذلك منظومة الإرهاب كلّها، ومقدّماً لها كلّ أشكال الدعم المالي والتسليحي مباشرة وبواسطة دول إقليمية وعربية. لذلك، فإنّ هذا المحور يتحمّل مسؤولية مباشرة وليس كافياً أن يعلن الرئيس الأميركي دونالد ترامب عن إجراءات لتفادي الإرهاب، بل المطلوب خطوات تكفل القضاء على الإرهاب.

وللتذكير، فإنّ مواقف إسبانيا شكلت جزءاً من البروباغندا السياسية والإعلامية التي استخدمت ضدّ الدولة السورية، وجرى التعبير عنها بمشاريع القرارات التي قدّمت إلى مجلس الأمن الدولي، والتي انطوت كلها على اتهامات مزيفة وباطلة للجيش السوري بقتل المدنيين، وغضت الطرف عن جرائم الكائنات الإرهابية التي سفكت دماء السوريين.

إنّ ما كان يجدر القيام به قبل الوصول إلى هذه النتيجة المرعبة، الاعتراف بأنّ سورية رئيساً وقيادة وجيشاً وشعباً، قاتلت الإرهاب نيابة عن العالم كله، ولو أنّ الغرب وأوروبا وقفا معها، ولم يكونا في صفّ الإرهاب، لما كان استقرار هذه الدول مهدّداً، وحياة الناس الأبرياء في خطر.

سورية التي عانت وتعاني من الإرهاب، تقترب في معاركها من لحظة اجتثاثه، وسورية التي حذّرت من ارتداد الإرهاب على رعاته، لا بدّ أنها تنصح الذين قاموا بتغطيته والتعمية على جرائمه، أن يتخلّوا عن هذه السياسة الحمقاء التي جعلت الإرهاب في عقر دارهم.

ترامب أصبح خطرا على العالم

عندما يتقدّم ثلاثون طبيبًا نفسيًّا أمريكيًّا يُعتبرون من أهم الخُبراء في ميدانهم، بطلبٍ لفَحص القِوى العقلية للرئيس دونالد ترامب، ويُؤكّدون في بيانٍ رَسمي بأنّه يُعانيٍ من أمراض، وأن شخصيته "غير سَويّة" لا تُؤهّله لقيادة البلاد، فإن هذا مُؤشّرٌ مُهم يجب أن يُوضع في عَين الاعتبار.

فهذا الرّجل الذي فصّل مُعظم مُساعديه بطريقةٍ ذَرقة، وهدّد بخَوض حرب نووية ضد كوريا الشمالية، وتوعّد رئيس فنزويلا بغزو بلاده، وأيّد بشكلٍ فاضح المسيرات اليمينيّةً العُنصرية للنازيين الجُدد في فيرجينيا، بات لا يُشكّل خَطرًا على أمريكا فقط، وإنّما على العالم بأسره.

لا نُجادل مُطلقًا بأن ستيف بانون، مُستشاره الاستراتيجي الذي فَصله أمس، يُمثّل اليمين الأميركي العُنصري الأبيض، ولعب دورًا لافتًا في تحشيد هذا اليمين خلف الرئيس ترامب في الانتخابات الرئاسية الأخيرة، ويَستحق الطّرد، ولكن ما نُجادل به أكثر أنه، وبسبب أفكاره العُنصرية، ما كان يَجب أن يكون إلى جانب الرئيس، ويَحتل مَنصبه المُهم ككبير مُستشاريه.

الرئيس ترامب وَعد بإعادة "العَظمة" إلى أمريكا وإصلاح بُنيتها التحتية الاقتصادية، وإيجاد وظائف للعاطلين عن العمل، وحقّق بعض الإنجازات في هذا الإطار، ولكن من أموال العرب، والبلطجة السياسية، وإن مُعظم هذه الوظائف ذَهبت، وتَذهب، إلى البيض ومَناطقهم من خِلال استثمارات مُكثّفة.

البيض الذين يَدعمهم ترامب، ومن مُنطلقاتٍ عُنصريّةٍ صرفة، ليسوا سُكّان أمريكا الأصليين، واستولوا عليها عبر المَجازر ضد الهُنود الحُمر، أي أنّهم لُصوص ارتكبوا جرائم حرب، وأبادوا عِرقًا كاملاً تقريبًا، وانخرطوا في مشاريع تدميرية في العالم، وخاصّةً البلدان العربية، استخدموا القنابل النووية دون داعٍ في الحرب العالمية الثانية في هيروشيما وناكازاكي.

المُساواة والعدالة الاجتماعيّة، والفُرص المُتكافأة والتّسامح والتعايش، كلها تُشكّل العمود الفقري في الدستور الأمريكي، وتأييد الرئيس ترامب للنازيين الجُدد ومسيراتهم نسفًا لها، وتَعريض لنِصف المُجتمع الأمريكي من غير البيض للتّهميش والإقصاء، وإشعال فَتيل الحَرب الأهليّة.

المُؤلم أن أربعة أخماس الجمهوريين يُؤيّدون ترامب، حسب افتتاحية مجلة "الإيكونوميست" العريقة، وهذا يعني أن الحزب الجمهوري سيتردّد في تأييد أي توجّه للإطاحة به من الرئاسة، والأصوات التي صَدرت من هنا وهناك، وتُطالب برحيله من داخل الحزب، لن تكون فاعلة.

النازية الجديدة التي تَعود بقوّةٍ في أمريكا لن تتوقّف عند حُدودها إذا ما انطلقت، وسيَكون العالم كُلّه ضحيّةً لها، وجرائمها المُتوقّعة، بالنّظر إلى القوّة الأمريكية الجبّارة.

ترامب بات خَطرًا على البشرية، ويَجب التوحّد عالميًّا لمُواجهة هذا الخَطر قبل أن يَستفحل.

التقارب السعودي مع ايران.. ابتسامات في الوجه وطعنات بالظهر!

صالح السيد باقر

هناك العشرات من الدلائل التي تؤشر على وجود تقارب ايراني- سعودي، مما تجعل المراقبين السياسيين يتكهنون بعودة العلاقات الدبلوماسية بين طهران والرياض، ويأتي استئناف الايرانيين لمناسك الحج في مقدمة وأبرز دلائل التقارب الايراني – السعودي.

هناك دلائل أخرى تؤشر على هذا التقارب، من بينها اطلاق السعودية سراح صيادين ايرانيين، وكذلك مصافحة ظريف والجبير على هامش الاجتماع الطارئ لمنظمة التعاون الاسلامي في اسطنبول، ووساطة العراق بين البلدين وعدم نفي طهران والرياض للوساطة، وكذلك تغيير السعودية لموقفها تجاه الحكومة السورية وبالذات الرئيس بشار الأسد، مما يرجح كفة الموقف الايراني تجاه الأزمة السورية، وايضا تسوية أزمة منصبي رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة في لبنان، وقبل ذلك التوصل الى اتفاق في منظمة الدول المصدرة للنفط (الأوبك)، والذي أسهم في ارتفاع اسعار النفط واستقرارها، وقد لعب تراجع السعودية عن موقفها تجاه ايران دورا رئيسيا في هذا الاتفاق حيث كانت ترفض السعودية بخفض انتاجها ورفع انتاج ايران، بينما الاتفاق سمح لطهران برفع انتاجها وارغم الرياض على خفض انتاجها.

ربما لو أضفنا الملف اليمني ونسبة من المرونة أبدتها السعودية تجاه الأزمة اليمنية والتي تصب في المحصلة النهائية لصالح طهران حيث من المحتمل أن تثمر هذه المرونة عن توقف الحرب ضد اليمن وبقاء الحوثيين وبالتالي عدم تحقق الهدف المعلن من هذه الحرب وهو اجتثاث النفوذ الايراني في اليمن، فيمكن ضمه لسائر الدلائل التي تشير على التقارب الايراني- السعودي.

لا يهمني كثيرا ما ان كانت هذه الدلائل مؤشر حقيقي على اقتراب عودة العلاقات وما اذا كانت العلاقات بين طهران والرياض ستعود أم لا، وانما الذي يهمني في هذا الصدد، هو هل أن عودة العلاقات الرسمية سيكون بداية لعلاقات حقيقية ومتكافئة وقائمة على الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة وعدم التدخل في شأن أحدهما الآخر، أم أن العلاقات ستعود ويعود معها تبادل الاتهامات والتآمر والكيد؟

لا يمكن الاجابة على هذا السؤال من دون معرفة السبب الحقيقي وراء قطع العلاقات، فعلى الظاهر ان السعودية بادرت الى قطع علاقاتها مع ايران بعد هجوم مجموعة من الايرانيين على سفارتها في طهران وقنصليتها في مدينة مشهد وقامت المجموعة باحراقهما ونهب ممتلكاتهما، وعلى الرغم من ان الحكومة الايرانية ادانت ذلك واعتقلت سلطات طهران مجموعة من المتورطين في الهجومين الا أن الرياض أصرت على قطع العلاقات، مما يشير الى أن الهجوم ليس السبب الحقيقي وراء قطع العلاقات وانما هناك أسباب أخرى، والتي اختصرتها الرياض بتدخل ايران في شؤونها وشؤون دول المنطقة.

هذا هو ظاهر ما جرى ولكن حقيقة ما جرى تعود الى التغيير الجذري الذي طرأ على السياسة الخارجية للمملكة

في السنوات الأخيرة من حكم الرئيس باراك أوباما وبالتحديد بعد الاتفاق النووي بين ايران والدول الست، فالمراقب السياسي يشعر بل يلمس تبني السياسة الخارجية السعودية لنهج علني وهو غير مألوف في تاريخ السعودية، فعلى سبيل المثال فان السعودية لم تتحدث يوما عن دعم ايران للارهاب بهذه الصراحة رغم الأزمات التي مرت بها علاقات البلدين، كما أن المراقب السياسي قلما سمع بموقف علني معادي لدولة عربية كما حدث تجاه الحكومة السورية حيث أصرت الرياض على مدى سنوات على ضرورة رحيل الرئيس السوري بشار الأسد.

هذا لا يعني أن السعودية لم يكن لديها سياسة خارجية ومواقف تجاه هذه الدولة أو تلك، بل على العكس كانت تلعب دورا سياسيا نشطا في الكثير من الملفات، ولكن كل ذلك كان يجري وراء الستار وخلف الكواليس، ومن بين الأمثلة البارزة في هذا الصدد هو تحرير الكويت من احتلال نظام صدام لها، فكانت السعودية اللاعب الرئيسي في عملية التحرير ولذلك فان الكويت تشعر انها مدينة للسعودية في ذلك، ولكننا لم نسمع من المسؤولين السعوديين مواقف وتصريحات اطلقوها ضد صدام حسين آنذاك كما يطلقوها اليوم ضد بشار الأسد.

ربما السبب الرئيسي في عدم تبني الرياض لسياسة علنية هو الأثمان التي يتعين عليها دفعها في تبني هكذا سياسة، وأدنى ما يقال في هذا الصدد هو انه يكلفها سمعتها، لأن السياسة العلنية سيكون لها ردود فعل علنية أيضا من هذا الطرف أو ذاك، الأمر الذي يتعارض مع مشروع زعامة العالم الاسلامي والعربي الذي تتبناه الرياض.

السبب الرئيسي في هذا التغيير وانتقال السياسة الخارجية السعودية من السر الى العلن يعود بالدرجة الأولى الى التغيير الكبير الذي طرأ على السياسة الخارجية لحكومة اوباما، فقد تخلت حكومة أوباما عن الكثير من الملفات بعدما ما كان لديها دور مباشر فيها، فقد كانت الرياض تنسق مواقفها مع واشنطن في بعض الملفات، أو لنقل أن الرياض كانت تقنع واشنطن بوجهة نظرها تجاه بعض الملفات ومن بينها الملف الايراني، وبما أن حكومة اوباما تخلت عن هذه الملفات فان الرياض هي التي بدأت تلعب دورا مباشرا فيها، وهذا ما يفسر اعتراض الرياض الشديد ضد واشنطن في التوصل الى اتفاق مع طهران بشأن برنامجها النووي.

مع تسلم دونالد ترامب لرئاسة الولايات المتحدة واعلانه بأنه سيلعب دورا مباشرا في العديد من الملفات فان السعودية وجدت ضالتها فيه، ومع أن بعض الكتاب والمحللين السياسيين حاولوا أن يسخروا ويستهزئوا بالسعودية لابرامها اتفاقيات تتجاوز مبالغها ٤٥٠ مليار دولار مع الولايات المتحدة، غير أن الحقيقة هي أن هذا هو الثمن الذي طلبه ترامب لمعالجة الملفات التي تقلق السعودية وفي مقدمتها الملف الايراني.

من هنا فان العلاقات السعودية – الايرانية حتى لو عادت الى سابق عهدها، فسوف لن تخرج عن اطار تبادل الابتسامات في الظاهر، ولكن سوف تستأنف السعودية سياسة توجيه الطعنات لايران من الخلف، ومن المؤكد أن هذه السياسة ستكون أخطر على ايران عما لو تبنت الرياض سياسة عدائية علنية ضد طهران.